نظرة شرعية

في فكر

فهمي هويدي

نظرة شرعية في فكر فهمي هويدي[١]

تعريف بهويدي:

هو: محمود فهمي عبد الرازق هويدي.

ولد في ٣٠ أغسطس عام ١٩٣٧م، بمدينة الصف محافظة الجيزة.

متزوج وله ٣ أبناء.

حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة.

عمل محررًا بقسم الأبحاث بجريدة الأهرام عام ١٩٥٨م.

ثم سكرتير تحرير سنة ١٩٦٥م.

ثم مدير تحرير مجلة العربي الكويتية (١٩٧٦-١٩٨٢م).

ثم نائب رئيس تحرير مجلة أرابيا (١٩٨٢-١٩٨٤م).

ثم مساعد رئيس تحرير جريدة الأهرام ١٩٨٤م.

يعمل حالياً بجريدة الأهرام.

مؤلفاته:

معظم مؤلفات فهمي هويدي مقالات صحفية سبق نشرها في عدة صحف ومجلات، يقوم هويدي بتصنيفها على هيئة موضوعات مختلفة، ثم تُطبع كل مجموعةٍ منها في كتاب مستقل أقرب إلى الصحيفة منه إلى الكتاب العميق المتأنى في كتابته.

وهذه قائمة بأسماء مؤلفاته:

١- القرآن والسلطان ـ ط٢ـ ١٤٠٢هـ ـ دار الشرق[١].

---

(١) اختصرها من كتابي "فهمي هويدي في الميزان". وانظر: خاتمة كتاب " العرب وتحديات القرن الحادي والعشرين " إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن، ط ٢٠٠٠ م.

٢- مواطنون لاذميون ـ ط٢- ١٤١٠هـ ـ دار الشروق.

٣- تزييف الوعي ـ دار الشروق.

٤- حتى لا تكون فتنة ـ ط١ـ ١٤١٠هـ ـ دار الشروق.

٥- إحقاق الحق ـ ط١ ـ١٤١٤هـ ـ دار الشروق.

٦- التدين المنقوص.

٧- المفترون ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ دار الشروق.

٨- مصر تريد حلاً ـ ط١ـ ١٤١٨هـ ـ دار الشروق.

٩- إيران من الداخل ـ ط٣ ـ ١٤٠٨هـ ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر.

١٠- الفتنة الكبرى ـ ط١٩٩١م ـ الفائز بجائزة علي وعثمان حافظ!.

١١- حدث في أفغانستان .

١٢- المسلمون في الصين.

١٣- أزمة الفكر الديني.

١٤- العرب وإيران .

١٥- أزمة الوعي الديني .

وهويدي ـ كما سبق ـ يكتب في عدة صحف ومجلات في آنٍ واحد؛ وهي على سبيل المثال:

١- جريدة الوطن الكويتية .

---

(١) وهي الدار التي تعتني ـ عناية خاصة ـ بطبع تراث العقلانيين! من أمثال: شلتوت والغزالي والقرضاوي ومحمد عمارة وأحمد كمال أبو المجد ومحمد سليم العوا وطارق البشري وهويدي وغيرهم. يقول صاحباها إبراهيم وعادل المعلم في مقدمة منشوراتها (ص٣): "وتمضي دار الشروق منارةً للفكر الإسلامي المستنير"!.

٢- جريدة الشرق الأوسط .

٣- جريدة الأهرام.

٤- مجلة العربي الكويتية .

٥- مجلة المجلة .

٦- مجلة الحرس الوطني السعودية .

٧- مجلة النور الكويتية .

٨- مجلة المسلم المعاصر.

٩- مجلة البنوك الإسلامية.

١٠- مجلة الموقف اللبنانية .

١١- مجلة المختار الإسلامي.

تصريحه بانتمائه إلى المدرسة العصرانية:

يقول هويدي: "قد أزعم أنني أنتمي إلى مدرسة في الفكر الإسلامي تدين هذا الموقف وتخاصمه، وتعتبر أن الحرية هي أثمن ما جاء به الإسلام، وأن التوحيد قرين التحرير"[(١)].

ويقول: "إن أحد الأوجه المضيئة للظاهرة الإسلامية ظل غائباً أو مغيباً عن الخرائط السياسية المعتمدة، ومن ثَمَّ عن الوعي العام في جملته، وغاية ما ظهر معتبرًا عن ذلك الوجه هو عطاء نفر من الناس الذين قدموا كتابات وأبحاثاً جليلة في إثراء المشروع الحضاري الإسلامي بمختلف مجالاته"[(٢)].

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٨/٩/٢٧م.

(٢) ١٩٩١/٧/٣٠م.

ويصرح هويدي بانتمائه إلى مذهب أفراد المدرسة العقلانية ـ ومن ضمنهم الكواكبي[١] ـ فيقول: "نحن ـ بالمناسبة ـ على مذهب شيخنا عبدالرحمن الكواكبي في قوله: إن أصل الداء، وأس كل بلاء في الشرق هو الاستبداد السياسي، ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية"[٢].

وعلى صفحات جريدة "الأهرام" المصرية[٣] يمدح هويدي وثيقة إسلامية طبعها د. أحمد كمال أبو المجد أحد رموز العصرانية بعنوان "رؤية إسلامية معاصرة"[٤]، وهي ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ ملخص للأفكار الرئيسة التي يلتقي عليها العصرانيون تكفل بصياغتها لهم أبو المجد، وأثنى عليها هويدي، وشيخهم القرضاوي[٥]!.

ويتأسف هويدي على كون أفراد هذا التيار ما زالوا مشتتين. يقول هويدي: "أما الذين حاولوا التجديد عن طريق تثبيت الدين واستهدفوا إعلاء كلمته، ورفع الحرج عن المسلمين، هؤلاء لا يزالون أفرادًا مشتتين، ترتفع أصواتهم هنا وهناك، وكثيرًا ما تضيع صيحاتهم وسط ضجيج العصر وهدير الأمة"[٦].

---

(١) الكواكبي هو عبدالرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، رحّالة متشبع بالفكر القومي، ولد وتعلم في حلب، ثم رحل إلى مصر، وساح في العالم الإسلامي. له كتاب "طبائع الاستبداد" يدعو فيه إلى الحرية، ولذا فالعقلانيون، كهويدي وغيره، معجبون بهذا الكتاب لأنه يمهد لهم الطريق نحو الديمقراطية؛ توفي الكواكبي عام (١٣٢٠هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٨/٣).

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٠/١٠/٩م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/١٠/٨م.

(٤) الطريف أن أبا المجد قد مدح هويدي وشكره في مقدمة وثيقته! فالعصرانيون يتبادلون الثناء فيما بينهم، ويلمع بعضهم الآخر ترويجًا لأفكارهم. انظر: مقدمة الوثيقة.

(٥) انظر: "ملامح المجتمع المسلم" للقرضاوي (ص ٧٨).

(٦) مجلة العربي، العدد: ٢٣٢، ص ٣٦.

ويقول مؤكدًا أهمية هذا التيار: "إن ساحة العمل الإسلامي ظلت تفتقر إلى التيار الناضج الذي يقود الجماهير المؤمنة"[١].

ويقول عن ارتباط هذا التيار بمدرسة محمد عبده: "لكن ما ينبغي أن يلفت انتباهنا حقاً هو أن هذا النهج في تناول الموضوع ليس الوحيد المطروح في الساحة، وإنما هناك آخرون كتبوا في الموضوع ذاته، وكانوا أفضل تعبيرًا عن تعاليم الإسلام الداعية إلى البر والتآلف، من الإمام محمد عبده في بداية القرن، إلى الشيخين محمد الغزالي ويوسف القرضاوي"[٢].

ويقول عن الغزالي والقرضاوي: "اثنين من أبرز فقهائنا وعلمائنا المعاصرين"[٣].

ويسمي القرضاوي: "أحد أعلام الاجتهاد في زماننا"[٤].

ويقول عنه: "لقد سمعت من الدكتور يوسف القرضاوي، وهو بالمناسبة من الأصوليين المنحازين إلى الديمقراطية والتعددية.."[٥].

ويقول عنه: "الدكتور يوسف القرضاوي الفقيه الكبير"[٦].

ويعرض في مقالاته كتابيه: "كيف نتعامل مع السنة النبوية" و"أولويات الحركة الإسلامية"[٧].

---

(١) مجلة العربي، العدد: ٢٣٢، ص ٣٦.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٣) مجلة العربي، العدد: ٢٩٠، ص ٨٢.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٩/١١/١١م، وانظر أيضاً: جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/٢٤م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/٧/٢٣م.

(٦) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/١١/١٨م.

(٧) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/٦/١٨م.

وينقل عنه في نقد الدولة الدينية[١]، وفي مقال له بمجلة العربي الكويتية عرض هويدي كتاب القرضاوي "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" مثنيًا عليه، ومروجًا له[٢].

ويقول عن كتاب الغزالي "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث": "إن الكتاب صدرت منه ٨ طبعات في مصر، كما صدر في طبعات خاصة ظهرت في الأردن والجزائر، وتُرجم إلى الإنجليزية، وطُبع ثلاث مرات في إنجلترا، وفي الوقت ذاته فقد صدرت له ترجمات بالإنجليزية في الهند وباكستان، وفي زيارتي الأخيرة لماليزيا وجدته مترجماً إلى اللغة الملاوية!.

هذا الرواج يعني مباشرة أن هناك حالة من التعطش الشديد لاستجلاء الوجه الحقيقي للإسلام، الذي حاول الكتاب أن يقوم به"[٣].

هذه بعض أقوال هويدي التي تبين للقارئ أنه مجرد (صحفي) (عصراني) يؤيد هذا التيار بما آتاه الله من حُسن بيان، ولكن عمدته ومرجعه في الأمور العلمية والفقهية هما الغزالي القرضاوي، فهو مجرد ناقل لأقوالهما واختياراتهما، وناشر لها على نطاق واسع، بسبب خبرته الصحفية، وكثرة مقالاته!.

فهمي هويدي والكفار:

يقول هويدي: "وحدة الأصل الإنساني ثابتة في نصوص القرآن

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٩/٤/٢٥م.

(٢) انظر: مجلة العربي، العدد: ٢٩١، ص ٤٠.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/٦/١٨م.

الكريم، والمساواة والأخوة بين بني البشر، والقداسة التي أحيطت بها كرامة الإنسان بصرف النظر عن دينه أو جنسه من الأمور الثابتة في نصوص القرآن والسنة، أما التفاضل بين الناس في الآخرة فله معايير أخرى"[١].

ويقول: "إن الأمر الهام هو أن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية والمساواة بين البشر جميعاً، هذا كله مقرر في الإسلام على أساس العقيدة، وليس من مسائل الاجتهاد والنظر"[٢].

ويقول: "إن التفرقة بين البشر فيما هو دنيوي حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم ليس من منهج القرآن في شيء، إذ القاعدة هي المساواة، والجميع في ديار الإسلام أمة واحدة، والخلق كلهم (عيال الله) بالتعبير النبوي، فضلاً عن أن الناس خلقوا (من نفسٍ واحدةٍ) بالتعبير القرآني[٣].

ويقول: "لابد من الاعتراف بأن هناك إحياءً دينيًا على الجانبين - الإسلامي والمسيحي - في مصر، الأمر الذي كان ينبغي أن يُقابل بما يستحقه من حفاوة مصحوبة بجهود جادة وحثيثة لاستثمار ذلك الإحياء، لكي يُصبح قاعدة لنهضة إيمانية تستهدف إشاعة المودة والتراحم بين الناس، وعمارة الدنيا مع عمارة الآخرة"[٤].

ويقول أيضاً: "إن الذين قالوا بأن غير المسلم يعتبر مواطناً من

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/١٠/٧م.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٩٩.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ١٥٦.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٢/٥/٢٦م.

الدرجة الثانية في المجتمع الإسلامي، لم يورد أحدهم نصًا شرعيًا يستند إليه في دعواه"[١]!.

ويرى هويدي: "إن ديار المسلمين ينبغي أن تظل ملكًا للمسلمين وغير المسلمين، بغير تسلط ولا أفضلية من أحد على أحد، لأنه لا فضل لإنسان على إنسان إلا بتقواه وعمله الصالح"[٢].

ويرى هويدي أن آية: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣]، "تتحدث عن الآخرة وليس الدنيا"[٤].

فليس فيها دليل على عدم المساواة مع الكفار!.

هويدي لا يرى كفر اليهود والنصارى!!

يقول هويدي: "إن المسلمين في لغة القرآن الكريم هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص، كما يقرر الشيخ محمد دراز في كتابه الهام حول (الدين)"[٥].

هويدي يرى أن للكفار الطعن في الإسلام!!

يقول هويدي عن أهل الذمة الذين يعيشون في ديار المسلمين: "سيكون لهم الحق في انتقاد الدين الإسلامي مثل ما للمسلمين لنقد مذاهبهم ونِحَلهم"[٦]

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٢١.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ١٢٦.

(٣) سورة القلم الآية ٣٥.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٦) مواطنون لاذميون، ص ١٧٥، نقلاً عن المودودي الذي أساء لنفسه بهذا الرأي الشاذ ـــ عفا الله عنه ـــ.

هويدي يرى أن الجزية بدلٌ عن حماية الدولة الإسلامية للذمي، فإذا شارك معهم في الجهاد سقطت عنه!.

يقول هويدي: "حقيقة الأمر هي أن الجزية بدل عن حماية الدولة الإسلامية للذميين لإعفائهم من واجب الدفاع عن دار الإسلام"[١]

هويدي يرى أن الحرب في الإسلام هي للدفاع فقط:

يقول هويدي: "إن طريق الدعوة لا يمر بساحة الحرب في أي موضع وتحت أي اعتبار، وينبغي أن لا يمر"[٢].

ويقول: "قد خلق الله الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ـ بنص القرآن ـ لا ليتعاركوا ويتنابذوا، كما يتوهم البعض. والاستثناء الوحيد الذي يرد على هذه القاعدة هو أن يقع على المسلمين ظلم أو عدوان من جانب الآخرين"[٣].

هويدي ينكر وجود (دار الحرب):

يقول هويدي: "قد نشأ تعبير دار الإسلام منذ اعتبرت دار الهجرة ـ المدينة ـ في زمن النبي ـ ﷺ ـ هي دار الإسلام. (فلما أسلم أهل الأمصار صارت البلاد التي أسلم أهلها هي بلاد الإسلام، فلا يلزمهم الانتقال منها). وبالمقابل، ظهرت دار الحرب، وهو ما عبر عنه ابن حزم بقوله: (وكل موضع سوى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كان ثغرًا، ودار حرب ومغزى جهاد).

وقد أدى شيوع هذا التعبير في كتب الفقه والسير والتاريخ، إلى تبني

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٣٤.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٢٣٥.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ٨٩.

بعض الفقهاء والباحثين المعاصرين لفكرة أن معيار تحديد الآخرين ينبني على اعتقادهم، وكونهم مسلمين أم غير مسلمين.

وفي هذا الصدد كتب الأستاذ أبو الأعلى المودودي "أن الدولة الإسلامية تقسم القاطنين بين حدودها إلى قسمين: قسم يؤمن بالمبادئ التي قامت عليها الدولة، وهم المسلمون. وقسم لا يؤمن بتلك المبادئ، وهم غير المسلمين".

وفي الاتجاه ذاته كتب الدكتور عبد الكريم زيدان أن "الشريعة تقسم البشر على أساس قبولهم للإسلام أو رفضهم له، بغض النظر عن أي اختلاف بينهم".. ويستخرج من بعض آيات القرآن الكريم "أن الناس أحد اثنين: إما مؤمن برسالة الإسلام، وهو المسلم، وإما كافر بها، وهو غير المسلم".

غير أن هذا المعيار العقيدي لقسمة الناس ليس الأوحد المأخوذ به. فالأحناف والزيدية يرون أن القضية الفاصلة توفر عنصر "الأمان" بالنسبة للمقيمين فيها. فإذا كان الأمن فيها للمسلم على الإطلاق، فهي دار إسلام، وإن لم يأمنوا فيها فهي دار حرب. ومن الباحثين من يذهب إلى القول بأنه إذا تحقق الأمان للمسلمين، وإذا أقيمت الشعائر الإسلامية أو غالبها كانت البلاد دار إسلام، حتى ولو تغلب عليها حاكم كافر.

وأستاذنا الدكتور عبد الوهاب خلاف يؤيد الرأي القائل بأنه "ليس مناط الاختلاف الإسلام وعدمه، وإنما مناطه الأمن والفزع"، وهو ما يصفه "بانقطاع العصمة". وهو ما يؤيده أيضاً الدكتور صبحي محمصاني، في قوله: إن الإسلام "لم يميز بين المسلمين وغير المسلمين على

اعتبار اختلاف الدين، كما لم يميز بين المواطنين والأجانب على أساس جنسيتهم أو تابعيتهم. فلذا، من الخطأ الناتج عن الجهل والتضليل، زعم بعض الكتاب أن صفة المواطن كانت للمسلمين وحدهم، وأن غير المسلمين كانوا جميعاً من الأجانب".

ويقول في موضع آخر، إن الإسلام "لم يتعرف إلى فكرة الجنسيات، بل صنف الناس على أساس صفة المسالمة والمحاربة، ووزعهم من ثم بين مسالمين وهم الأصل، وحربيين وهم المستثنى، ثم اعتبر الحربيين وحدهم أجانب بطبعهم، واعتبر بلادهم بلاد العدو أو دار الحرب".

وهذا المعيار الثاني هو الأقرب إلى المنطق الذي عالج به الرسول ـ ﷺ ـ مسألة الآخرين، فضلاً عن أنه المنطق الأكثر قبولاً حتى في لغة الواقع المعاصر.

ودليلنا الأول على ذلك من السيرة النبوية ذاتها. فالرسول ـ ﷺ ـ عندما وقع أول معاهدة مع "الآخرين"، من قبائل العرب الأخرى واليهود، نصت المعاهدة التي تعد أول دستور للدولة في الإسلام، على "أن يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم".

هنا لم يوضع غير المسلمين في مربع دار الحرب، ولكنهم كانوا مع المسلمين "أمة واحدة"، ما داموا مسالمين.

وهنا لم يكن الدين هو الحد الفاصل بين دار الإسلام ودار الحرب، إنما كانت المسألة هي المعيار الذي أخذ به.."[1]

هويدي يرى جواز موالاة اليهود والنصارى:

يقول هويدي: "المستقر بين أهل الفقه أن النهي عن (الموالاة)

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٠٤ – ١٠٧

مقصود به أعداء الإسلام الذين يكيدون له، وليس من أهل الكتاب"[١].

ويقول: "إن الموالاة المنهي عنها شرعًا ـ كما أفهمها ـ هي تلك التي تتم على حساب مصالح المسلمين أو عقيدتهم، وإن المسلم مدعو لأن يكون عونًا لكل جهد يستهدف الخير والبر والإصلاح، وقد أيد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حلف الفضول الذي أقامه بعض مشركي قريش لنصرة أحد المظلومين، بينما كان النبي يوسف ـ عليه السلام ـ وزيرًا في حكومة فرعون مصر"[٢].

هويدي يدعو إلى إقامة معابد الكفار في (جميع) بلاد المسلمين:

يقول هويدي: "إننا نستطيع القول في ثقة تامة بأنه لن ينتقص شيء من أعلام الإسلام، إذا ما أقيمت على أرض الإسلام معابد لغير المسلمين، تماماً كما لم ينتقص شيء من مسجد رسول الله حينما استضاف فيه وفد نصارى نجران وحاورهم في رحاب المسجد، وأذن لهم بالصلاة فيه جنبًا إلى جنب مع المسلمين"[٣].

تعليق:

هذه ـ أخي المسلم ـ أبرز المسائل التي خالف هويدي فيها الصواب في قضية (أهل الذمة وحقوقهم) واختار جانب تقديم التنازلات الكثيرة على حساب النصوص الشرعية وإجماع الأمة بغية الظهور بمظهر المفكر (العقلاني) (الوسطي) (الحضاري) ... إلخ.

وليته ـ هداه الله ـ اكتفى بالجنوح لتبني هذه الآراء الشاذة دون أن

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٨/١٨م.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ٢٠٠.

يُعَرض لقرائه بأن قوله هو القول الذي يُمثل قول جمهور علماء الأمة قديمًا وحديثًا! إذاً لهان الخطب، لأننا لا نملك أن نردّ كل ضال عن أن يصرِّح بقناعاته التي تعلق بها.

فهويدي قد جمع بين اختيار القول الشاذ أو الباطل المخترع، وبين نسبة ذلك زورًا إلى الفئة العظمى من علماء الأمة.

فما الذي دعاه لذلك؟ وما هي شبهاته التي ساقته إلى المجاهرة بتلكم الآراء الغربية؟ هذا ما سنعرفه الآن من خلال تتبع كتاباته.

الشبهة الأولى:

احتجاجه بآيات تكريم الإنسان في القرآن.

تعقيب:

يخلط هويدي هنا خلطًا عجيباً، حيث يزعم أن آية تكريم الإنسان: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1] فيها دليل على مساواة المسلم بالكافرة !!

ولا يعلم بأن هذه الآية واردة في الإنسان من حيث هو إنسان، حيث كرمه وفضله على غيره من المخلوقات، ويسرَّ له أسباب السير في البر والبحر، ورزقه من الطيبات.

فكان الواجب على هذا الإنسان أن يشكر ربه على هذا التكريم وهذه النعم الكثيرة، فيتبع رسله، ويطيع أوامره، ويجتنب نواهيه، ويوحده حق توحيده، ويقوم بعبادته ـ ﷻ ـ.

فأما إذا لم يفعل هذا واختار الكفر على الإيمان والمعصية على الطاعة، فإن هذا التكريم للنوع الإنساني ليس بنافعه، لأنه سيكون من

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

المهانين عند الله تعالى عندما بدل نعمته كفرًا.

ومثال هذا ـ ولله المثل الأعلى ـ: أن يقوم ملك من الملوك بتكريم بعض عبيدة وإعطائهم ما يحتاجونه في معيشتهم ويميزهم على غيرهم من عبيدة الآخرين ثم يطلب منهم أن يعملوا له عملاً من الأعمال جزاء هذا التكريم، فبعضهم لم يقم بهذا العمل بل عصى الملك وخالف أمره، فما ظنكم؟ هل يساوي الملك بين الطائفتين: العاملة والمقصرة!؟ أم يقول لمن عصاه بأنني نعم قد كرمتكم وفضلتكم على غيركم ولكنكم لم تراعوا هذه النعمة، بل استخدمتموها في معصيتي ومخالفة أمري، فلهذا ليس لكم عندي إلا الإهانة وعدم مساواتكم بالطائعين!؟

فهكذا الإنسان كرَّمه الله وفضله على كثير من خلقه، ثم طلب منه اتباع أمره واجتناب نهيه، فإن أجاب بقي على تكريمه السابق، وإن لم يجب انقلب ذاك التكريم إلى مهانة.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في هذا (التكريم) ما هو؟ فقال ابن جرير الطبري: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم"[1]، "﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2] ذُكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها، ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق[3].

---

(١) تفسير الطبري (٨/١١٥).

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣) تفسير الطبري (٨/١١٥).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها. كقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١] أن يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية"[٢].

وقال الشوكاني: "هذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوانات مثله"[٣].

وقال القرطبي: "الصحيح الذي يعوَّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف"[٤].

وقال سيد قطب: "ذلك وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه، كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان!.

وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته؛ التي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة.

---

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٥).

(٣) فتح القدير (٣/٣٥٠).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/٢٩٤).

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك.

وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان!"[(١)].

وقال ابن الجوزي: "فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر والمهان؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرَم بالنعم الوافرة.

والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٢)]"[(٣)].

قلت: والأولى أن يقال ما سبق أن ذكرته، وهو أن الإنسان مكرَّمٌ من حيث هو إنسان، ومفضل على غيره من المخلوقات، أما إذا كفر وأعرض فإنه يكون مهاناً عند الله، ولا ينفعه تكريمه السابق، فهذا التكريم كالولد والمال فإنها من نعم الله على الإنسان، ولكنها لا تقرِّب الإنسان زلفى عند الله، إلا من آمن واستغل ذلك كله في طاعة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾[(٤)].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٤١).

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٣) زاد المسير (٥/٦٣).

(٤) سورة سبأ الآية ٣٧.

أقول هذا ليكون هناك عدم تعارض بين هذه الآية وآيات (إهانة) الكفار ـ كما سيأتي ـ.

أما هويدي فإنه عندما أحس بهذا التعارض الذي سيُبطل قوله أخفى آيات (الإهانة) ولم يتعرض لها! وهذا دأب أهل البدع يذكرون الذي يظنونه مؤيداً لبدعتهم، ويخفون ما ينقضها ولا يذكرونه، بخلاف أهل السنة الذين وفقهم الله ـ تعالى ـ للعمل بآياته كلها موفقين بينها.

أما الآية الثانية التي ظن هويدي أنها تشهد لبدعته فهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] فهي كالآية السابقة، يخبر فيها الله ـ ﷻ ـ بأنه قد خلق الإنسان في صورة حسنة، وهيئة كاملة.

قال ابن كثير: "في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء، حسنها"[2].

وفي هذه الآية ردّ بليغ على هويدي ولكنه لم ينتبه له، أو تعمد إغفاله! ولهذا حجب ما بعد هذه الآية ولم يذكره، لأنه يعود على قوله بالنقض، حيث قال الله بعد هذا الخلق الحسن ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[3].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾ أي إلى النار، قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم: ثم بعد هذا الحُسْن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتَّبع الرسل، ولهذا

---

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٦٣/٤).

(٣) سورة التين الآية ٥-٦.

قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾"[١].

أما من قال بأن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[٢] أي إلى أرذل العمر فقد رده ابن كثير بقوله: "لو كان هذا المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهَرَم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكره، كقوله: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣]"[٤].

قلت: فتأمل قوله ما أحسنه، وهو رد مفحم على هويدي بنفس الآية التي احتج بها على بدعته! ولكنه شابه اليهود بإخفاء آخرها.

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦]، وقوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[٧] فهو من أعجب العجب، لأن هذه الآيات واردة في آدم ـ عليه السلام ـ وأن الله قد كرمه بإسجاد الملائكة له، فما

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٣).

(٢) سورة التين الآية ٥.

(٣) سورة العصر، الآية ١-٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٣).

(٥) سورة الأعراف الآية ١١.

(٦) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٧) سورة الحجر الآية ٢٩.

دخل (تكريم) الكفار بهذا!؟ وهل يلزم من تكريم أبينا آدم ـ عليه السلام ـ أن يكون جميع أبنائه ـ مسلمهم وكافرهم ـ مكرَّمين!؟ لا يقول هذا عاقل، لأن ابن آدم لصلبه عندما قتل أخاه لحقه من الذم ما لحقه، وقال فيه ـ ﷺ ـ: "لا تُقْتل نفس ظُلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل"[١].

فإذا كان ـ ﷺ ـ قد قال هذا عن ابن آدم لصلبه، فما حال أبنائه الآخرين ممن بدَّل وأعرض عن الهدى؟

قلت: ما سبق كان ردًا على الشبهة الأولى التي احتج بها هويدي، وبقي في نقضها أن يقال:

١- ما قول هويدي في آيات (الإهانة) للكافرين والمعرضين، وكيف يوفق بينها وبين هذا (التكريم) المزعوم للجميع الذي يراه هويدي؟

فقد وردت عدة آيات تدل على أن الله قد أهان الكفار وأذلهم ولم يكرمهم سواء في الدنيا أم في الآخرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[٢]، فدل على أن هناك من يهينه الله، فإذا أهانه لم يكن من (المكرمين).

وقال تعالى عن بعض الكفار في الدنيا: ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) سورة الحج الآية ١٨.

(٣) سورة فصلت الآية ١٧.

وقال عنهم في الآخرة: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[١]، ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[٢]، ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٣]،﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٤]،﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٥]،﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٦]،﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٧]، ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٨]، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٩]،﴿ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[١٠]، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[١١]،﴿

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٥) سورة النساء الآية ١٤.

(٦) سورة الحج الآية ٥٧.

(٧) سورة لقمان الآية ٦.

(٨) سورة الجاثية الآية ٩.

(٩) سورة النساء الآية ٣٧.

(١٠) سورة النساء الآية ١٠٢.

(١١) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[١]، وقال عن المنافقين: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[٢]، فما قول هويدي في هذه الآيات!؟

٢- وردت عدة آيات في التفريق بين المسلمين والكافرين، أو بين المؤمنين ومن يعمل السيئات، وذم من يسوِّي بينهم، وهذه الآيات لم يتعرض لها هويدي لأنها تهدم قوله بالمساواة بين المسلمين والكافرين، فلهذا اختار أن لا يقربها!

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[٣] أي المؤمن والكافر، وقال: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾[٤]، وقال: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾[٦]، وقال: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ ﴾[٧]، وقال: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ ﴾[٨]، وقال: ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٩.

(٢) سورة المجادلة الآية ١٦.

(٣) سورة الرعد الآية ١٦.

(٤) سورة السجدة الآية ١٨.

(٥) سورة المائدة الآية ١٠٠.

(٦) سورة فاطر الآية ١٩،٢٠.

(٧) سورة فاطر الآية ٢٢.

(٨) سورة غافر الآية ٥٨.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[١]، وقال: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾[٢].

وقال سبحانه:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[٣]، وقال: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٤].

فإن تعنت هويدي وقال بأن هذه الآيات واقعة في الآخرة وليس في الدنيا!

قلنا له:

أولاً: لم يقل أحد من المسلمين بقولك هذا، وإنما فهموا من هذه الآيات أنها عامة في الدنيا والآخرة حيث لا يتساوى المسلم والكافر عند الله، كما لا يتساوى المؤمن ومن يعمل السيئات.

ثانياً: ورد من آيات الإهانة للكفار في الدنيا ما ينقض قولك هذا.

ثالثاً: قد وردت آية في كتاب الله تُلقمك الحجر، حيث بينت خطأ من ساوى بين الفريقين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[١].

---

(١) سورة الحشر الآية ٢٠.

(٢) سورة هود الآية ٢٤.

(٣) سورة ص الآية ٢٨.

(٤) سورة القلم الآية ٣٦،٣٥.

(٥) سورة الجاثية الآية ٢١.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "يقول تعالى لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال ـ ﷻ ـ ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[٢] أي عملوها، ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[٣] أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار"[٤].

فلهويدي نصيب من هذا الظن السيء بربه حيث ظن أن الله مساوٍ بين المسلمين والكافرين في هذه الدنيا، وفي الآخرة[٥].

الشبهة الثانية:

احتجاجه بأن نفوس الكافرين كغيرها من النفوس، فلماذا التفرقة!؟

تعقيب:

أما قتل النفس الإنسانية (بغير حق) فهو من الظلم البيِّن الذي لا يجوز، ولكن ما دخل هذا بمساواة المسلمين بالكافرين!؟ إن قال هويدي بأنه لا يجوز قتلهم كما لا يجوز قتل المسلمين، وهذا دليل تساويهم.

---

(١) سورة الحشر الآية ٢٠.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٤) تفسير ابن كثير (١٦٢/٤).

(٥) لأنه لا يعتقد كفر بعض الكافرين، وهم اليهود والنصارى ـــ كما سبق ـــ !! والعياذ بالله.

نقول له: عدم قتلهم ليس لأجل كفرهم! بل إن كفرهم هو سبب قتلهم! وأنت عكست القضية. لأن المسلمين مطالبون بنشر الدعوة وقتال الكافرين وقتلهم ـ كما سيأتي ـ حتى يدينوا بالإسلام أو يرضوا بإعطاء الجزية والدخول تحت ذمة المسلمين فعندها يُكفُّ عنهم وتُصان أرواحهم وعندها يكون لهم نصيب من هذه الآية التي استشهد بها هويدي ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا ﴾ ...[1]، لأن من قتلهم بعد ذلك فقد اعتدى عليهم وظلمهم، لأنهم قد دخلوا في ذمة المسلمين، فكانت أرواحهم مصانةً لا يجوز التعدي عليها، وهذا من كمال عدل الإسلام.

فليس عدم قتلهم، أو تعظيم قتلهم، هو بسبب (كفرهم) كما يظنه هويدي، وإنما سبب ذلك أنهم بذلوا الجزية وخضعوا لسلطان الإسلام، فلم يعد لنا سبيل عليهم إلا بأن ينقضوا عهد الذمة ـ كما سيأتي ـ.

أما احتجاج هويدي بأنه ـ ﷺ ـ قام لجنازة يهودي وقال: "أليست نفسًا" فهذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، أن النبي ـ ﷺ ـ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفسًا"[2].

وليس فيه أنه ـ ﷺ ـ قام لها "تحيةً واحترامًا" كما يزعم هويدي!! بل هذا من تلبيسه على القراء.

وهذا الحديث الذي احتج به هويدي قد روي بعدة روايات تبين علة قيام النبي ـ ﷺ ـ، وأطال العلماء في شرحه توضيحًا لمعناه لكي لا

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٢٩/٧ نووي).

يتأوله متأول على غير مراد النبي ـ ﷺ ـ كما فعل هويدي!

فقد رواه مسلم من طريق آخر أنه قيل له ـ ﷺ ـ: إنها يهودية، فقال: "إن الموت فزع فإذا رأيتم الجنازة فقوموا"[١].

قال الحافظ ابن حجر: "قال القرطبي: معناه أن الموت يُفزع منه، إشارة إلى استعظامه. ومقصود الحديث أن لا يستمر الإنسان على الغفلة بعد رؤية الموت، لما يُشعر ذلك من التساهل بأمر الموت، فمن ثَمَّ استوى فيه كون الميت مسلماً أو غير مسلم"[٢].

قال الحافظ: "وفيه تنبيه على أن تلك الحالة ينبغي لمن رآها أن يقلق من أجلها ويضطرب، ولا يظهر منه عدم الاحتفال والمبالاة"[٣].

قال: "قوله "أليست نفسًا" هذا لا يعارض التعليل المتقدم حيث قال: "إن للموت فزعًا" على ما تقدم، وكذا ما أخرجه الحاكم من طريق قتادة عن أنس مرفوعاً فقال: "إنما قمنا للملائكة"، ونحوه لأحمد من حديث أبي موسى، ولأحمد وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا "إنما تقومون إعظاماً

للذي يقبض النفوس" ولفظ ابن حبان "إعظامًا لله الذي يقبض الأرواح" فإن ذلك أيضاً لا ينافي التعليل السابق، لأن القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة.

وأما ما أخرجه أحمد من حديث الحسن بن علي قال: "إنما قام

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨/٧ نووي).

(٢) فتح الباري (٢١٥/٣).

(٣) المرجع السابق.

رسول الله ـ ﷺ ـ تأذيًا بريح اليهودي" زاد الطبراني من حديث عبد الله بن عياش بالتحتانية والمعجمة "فآذاه ريح بخورها" وللطبراني والبيهقي من وجه آخر عن الحسن " كراهية أن تعلو رأسه" فإن ذلك لا يعارض الأخبار الأولى الصحيحة.

أما أولاً: فلأن أسانيدها لا تقاوم تلك في الصحة.

وأما ثانياً: فلأن التعليل بذلك راجع إلى ما فهمه الراوي، والتعليل الماضي صريح من لفظ النبي ـ ﷺ ـ فكأن الراوي لم يسمع التصريح بالتعليل منه فعلل باجتهاده.

وقد روى ابن أبي شيبة من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت قال: "كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فطلعت جنازة، فلما رآها قام وقام أصحابه حتى بعدت، والله ما أدري من شأنها أو من تضايق المكان، وما سألناه عن قيامه"[1].

قلت: فقيامه ـ ﷺ ـ ليس "تحية واحترامًا" لجنازة اليهودي كما يدعي هويدي!! وإنما هو قيام لأجل الفزع من أمر الموت الذي لا ينبغي للمرء أن يتلهى عنه، وأن يعتبر به، ولو كان في جنازة يهودي، لأن عدم القيام يدل على عدم المبالاة بأمر الموت.

الشبهة الثالثة:

قوله: "وقد كان من دعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في صلاة آخر الليل: "اللهم إني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن العباد كلهم إخوة" (أبو داود)".

---

(١) فتح الباري (٣/٢١٥-٢١٦).

والجواب: أن هذا الحديث الذي احتج به هويدي على أخوة الكفار للمسلمين! حديث ضعيف[١]، استفاده هويدي من شيخه القرضاوي الذي احتج به في هذا الموضوع في عدة كتب له[٢]، ولو صح فإنه يحمل على أن "العباد" هم المسلمون المؤمنون؛ لكي لا يعارض النصوص الشرعية الصريحة في إبطال الأخوة بين المسلمين والكفار.

الشبهة الرابعة:

احتجاجه[٣] بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾[٦]، وقوله ـ ﷺ ـ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" رواه أبو داود، وحديث عبد الله بن عمر: أن رجلاً سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: أي الإسلام خير؟ قال: "تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" متفق عليه.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٩/٤)، وأبو داود (١٥٠٨)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥) لأن في سنده (داود بن راشد الطفاوي) قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وفيه أيضاً: (أبو مسلم البجلي) مجهول العين لم يرو عنه سوى الطفاوي الضعيف.

(٢) كما في "ملامح المجتمع المسلم" (ص ١٣٩).

(٣) مواطنون لاذميون، (ص١١٣).

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٥) سورة النساء الآية ٨٦.

(٦) سورة الزخرف الآية ٨٩.

تعقيب:

أما قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فهي واردة في البر والقسط مع الكفار الذين لم يقاتلونا، وليست واردة في موالاتهم ومودتهم كما يدعي هويدي ومن شاكله.

قال ابن كثير في تفسيرها: "أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ أي تعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾"[2].

وقال الحافظ ابن حجر: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتودد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3]، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يُقاتل"[4].

وقال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ تعليقًا على الآية التي احتج بها هويدي: "إنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد أو أمان أو

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٧٣).

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٤) فتح الباري (٥/٢٣٣).

ذمة، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك، كما ثبت في الصحيح أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي ـ ﷺ ـ وهي مشركة تريد الدنيا، فأمر النبي ـ ﷺ ـ أسماء أن تصل أمها وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي ـ ﷺ ـ وبين أهل مكة، وصح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك. فهذا وأشباهه من الإحسان الذي قد يكون سببًا في الدخول إلى الإسلام والرغبة فيه وإيثاره على ما سواه، وفي ذلك صلة للرحم، وجُوْد على المحتاجين، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب والبصيرة"[(١)]

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾[(٢)]، فهو من أعجب الاحتجاج، إذ معنى الآية كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "أي إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة"[(٣)]، أي إذا قال: السلام عليكم فيستحب أن تقول ردًا عليه: وعليكم السلام ورحمة الله، فإن قال: السلام عليكم ورحمة الله، فيُستحب أن تقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فالزيادة مندوبة، والرد كما قال ابن كثير فرض.

أما من قال بأنها تدل على جواز رد السلام على الكفار فقد أخطأ

---

(١) نقد القومية العربية (ص ٤٥-٤٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٤٤-٥٤٥).

في الاستدلال.

قال ابن كثير: "وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به فإن بلغ المسلم غاية ما شُرع في السلام رد عليه مثل ما قال، فأما أهل الذمة فلا يُبدؤن بالسلام، ولا يزادون، بل يرد عليهم ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السلام عليكم، فقل: وعليك" وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام.."[(١)].

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾[(٢)] فهي أعجب من سابقتها! إذ هذه الآية خطاب للنبي ـ ﷺ ـ قبل أن يُشرع الجهاد بأن لا يرد على الكافرين مثل قولهم السيئ بل يعفو ويصفح إلى أن يأتي أمر الله، ولهذا قال بعده ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "هذا تهديد من الله لهم، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يُرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب"[(٤)].

أما احتجاج هويدي بحديث "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"، وحديث: ".. تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" فهي أحاديث خاصة بالمسلمين، ولكنَّ هويدي يتغافل عن هذا ويضعها في

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٤٤-٥٤٥).

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٩.

(٣) سورة الحجر الآية ٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٤٧-١٤٨).

غير موضعها لتدل ـ بزعمه ـ على السلام على الكفار! ناسيًا قوله ـ ﷺ ـ السابق: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام".

الشبهة الخامسة:

احتجاجه بالصحيفة التي كتبها ـ ﷺ ـ مع اليهود عندما قدم المدينة.

تعقيب:

هذه الصحيفة مما افتتن بها المعاصرون ترديدًا لها في كتبهم، متوهمين (صحتها) وأنها تشهد لما حَمَّلوها من جواز موالاة الكفار أو مساواتهم بالمسلمين ـ زعموا ـ!

وقد ذكر مجموعة ممن احتج بها الأستاذ محمد حميد الله في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية) [(١)].

قال الأستاذ مشهور سلمان ـ حفظه الله ـ: "وهي متداولة في كتب السيرة وفي كتب النظم الإسلامية. وقد حكم عليها الأستاذ يوسف العش[(٢)] بالوضع، والصحيح أنها ضعيفة فحسب، ولا مجال لسرد طرقها والكلام على أسانيدها، ومن أراد الاستزادة، فلينظر كتاب الأخ ضيدان بن عبد الرحمن اليامي (بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة)"[(٣)].

حيث قال بعد أن ذكر أسانيد (الصحيفة) وضعفها جميعًا: "فعلى هذا يتضح لك ضعف هذه الصحيفة وما ورد فيها"[(٤)].

قال: "ومن ثمَّ لا ينبغي الاحتجاج بها"[(٥)].

---

(١) ص ٣٩ – ٤١.

(٢) في حاشية (٩) من (ص٢٠) من كتاب "الدولة العربية وسقوطها" لفلهوزن، ترجمة العش.

(٣) كتب حذر منها العلماء، ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٤) بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة، ص ٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٩. وانظر أيضاً: "دفاع عن الحديث النبوي" للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ، ص٢٥، حيث بين أن إسنادها منقطع.

وقال الشيخ ربيع المدخلي في كتابه "صد عدوان الملحدين" (ص ٣٤) عن هذه الصحيفة ـ على فرض ثبوتها ـ: "معاذ الله أن تكون المعاهدة قامت على هذا الأساس الوطني، ولا ينبغي أن تحمل هذه المعاهدة ولا غيرها من النصوص الشرعية على المصطلحات السياسية المعاصرة".

قلت: وقد بينت في كتاب "محمد عمارة في ميزان أهل السنة" أن كثيراً من محتويات هذه الصحيفة تنقض دعاوى العصرانيين وتمايز بين المسلمين والكفار. (انظر: ص ٤٣١-٤٣٢ من الكتاب السابق).

الشبهة السابعة:

احتجاجه بقول علي ـ ﷺ ـ عن أهل الذمة: "أن دماءهم كدمائنا، وأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا" وزعمه أن هذا قول "كل فقهاء المسلمين من أولهم إلى آخرهم"[(١)]!!

تعقيب:

هذا الأثر عن علي ـ ﷺ ـ ذكره الكاساني الحنفي في كتابه (بدائع الصنائع)[(٢)] عند حديثه عن أهل الذمة دون إسناد، انتصارًا لقول الأحناف بأن دية الذمي كدية المسلم! وهي من مسائلهم المستشنعة التي تخالف الأحاديث الصحيحة.

ثم وجدت محمد بن الحسن الشيباني قد ذكر أثرًا مشابهاً له في (كتاب الحجة على أهل المدينة)[(٣)] قال: "أخبرنا قيس بن الربيع عن أبان

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٢٤، وص ١٥٣.

(٢) (١١١/٧).

(٣) (٣٥٢/٤-٣٥٥) تعليق مهدي الكيلاني.

بن تغلب عن الحسن بن ميمون عن عبد الله بن عبد الله مولى بني هاشم عن أبي الجنوب الأسدي قال: أُتي علي ابن أبي طالب ـ ﷺ ـ برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، قال: فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: قد عفوت عنه. قال: فلعلهم هددوك أو فَرَقوك؟ قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليَّ أخي وعوضوني فرضيتُ، قال: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا".

قلت: وهذا الأثر ـ فضلاً عن مخالفته للأحاديث الصحيحة ـ فهو ضعيف، قال الألباني: "أخرجه الشافعي (١٤٢٩) والدارقطني (٣٥٠) وقال: وأبو الجنوب ضعيف. وأورده صاحب الهداية بلفظ: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا" وهو مما لا أصل له كما ذكرته في "إرواء الغليل" (١٢٥١)"[(١)].

وقال الأستاذ علي رضا بن عبد الله[(٢)] في رسالة بعثها إليَّ: "أثر علي ـ ﷺ ـ: فيه الحسن بن ميمون مجهول كما قال الحسيني ووافقه الحافظ في "تعجيل المنفعة" (ج١/ ص٤٤٨) رقم (٢٠٨) ـ ووهم المحقق فخلطه بالحسين بن ميمون وليس به على الراجح وإن اتفقا في الرواية عن أبي الجنوب الأسدي لكن الأول هو الذي يروي عنه أبان بن تغلب ويروي عن أبي الجنوب كما في "التعجيل" فالظاهر أنهما رجلان، وهذا مقتضى صنيع الحافظ ابن حجر في إقراره كلام الحسيني. وقد يكونان رجلاً واحداً كما يتضح من رواية الدارقطني الآتية.

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣/٢٢٤).

(٢) أحد الأفاضل المختصين بعلم الحديث النبوي، له عدة مؤلفات في المكتبات، وفقنا الله وإياه.

وقيس بن الربيع: سيئ الحفظ كما في "الميزان" (٣/ ٣٩٣)، بل قال النسائي: متروك. وقال أحمد: يتشيع وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة.

وأبو الجنوب اسم عقبة بن علقمة الكوفي: قال أبو حاتم: ضعيف بين الضعف لا يشتغل به. وكذا ضعفه الدار قطني "الميزان" (٣/ ٨٧).

فالإسناد ظلمات بعضها فوق بعض!!!

والحديث: أخرجه الدار قطني في "السنن" (٣/ ١٤٧) رقم (٢٠٠) وابن المظفر في "غرائب شعبة" ـ مخطوط ـ (ورقة ١٨/أ)، والبيهقي في "الكبرى" (٨/ ٣٤) من هذا الوجه وضعفته في تحقيقي لـ"مسند علي" (ج١/ ص٢٩٠-٢٩١) برقم (١٦٩٦، ١٦٩١، ١٦٩٠) وقال البيهقي ـ كذا قال: حسن، وقال غيره: حسين بن ميمون ـ وعلى تقدير أنه الحسين فهو لين الحديث كما في "التقريب" (١٣٦٦)" اهـ كلام الأستاذ علي رضا بن عبد الله ـ حفظه الله ـ.

قلت: وهم ـ أي فقهاء الأحناف إلا من رحم الله ـ ليسوا حجة في معرفة الأحاديث والآثار، وإنما يذكرون في كتبهم منها ما ليس له خطام ولا زمام، أو ما كان ضعيفاً لا يصلح للاحتجاج، كما فعلوا بهذا القول الشاذ (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حيث عزوه إلى النبي ـ ﷺ ـ!! حتى قال الزيلعي ـ وهو أحدهم ولكنه عالم بالحديث ـ عند تخريجه لهذا القول (لهم ما لنا..) الذي ذكره صاحب الهداية: "**قلت:** لم أعرف الحديث الذي أشار إليه المصنف"[1].

---

(١) نصب الراية، ٤/٥٥. وأقره الحافظ في الدراية، ٢/١٦٢.

وقال الشيخ المحدث الألباني ـ حفظه الله ـ عن هذا القول: (لهم ما لنا..): "باطل لا أصل له في شيء من كتب السنة، وإنما يذكره بعض الفقهاء المتأخرين ممن لا دراية لهم في الحديث".

قال: "وقد جاء ما يشهد ببطلان الحديث، فقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ قال: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" ليس في أهل الذمة، وإنما في الذين أسلموا من أهل الكتاب والمشركين، كما جاء في حديث سلمان وغيره، رواه مسلم وغيره. وهو مخرج في (الإرواء) (١٢٤٧) وغيره.

وإن مما يؤكد بطلانه مخالفته لنصوص أخرى قطعية كقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، وقوله ـ ﷺ ـ: "لا يُقتَل مسلمٌ بكافر"، وقوله: "للمسلم على المسلم خمس: إذا لقيته فسلم عليه.." الحديث، وقوله: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام..". وكل هذه الأحاديث مما اتفق العلماء على صحتها.

ومن هنا يظهر جليًا صدق عنوان كتابنا هذا في الأحاديث الضعيفة: "وأثرها السيئ في الأمة"، فطالما صرفَتْ كثيرًا منهم على مر الدهور والعصور عن دينهم، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام والأخلاق والسلوك، وليس ذاك في العامة فقط، بل وفي بعض الخاصة، وهاهو المثال بين يديك، فإن هذا الحديث الباطل قد تلقاه بالقبول بعض الدعاة والكتّاب الإسلاميين، وأشاعوه بين الشباب المسلم في كتاباتهم ومحاضراتهم، وبنوا عليه من الأحكام ما لم يقل به عالم من قبل! فهذا هو كاتبهم الكبير الشيخ محمد الغزالي يقول فيما سماه بـ"السنة النبوية.."

---

(١) سورة القلم الآية ٣٥، ٣٦.

(ص١٨): "وقاعدة التعامل مع مخالفينا في الدين ومشاركينا في المجتمع: لهم ما لنا وعليهم ما علينا. فكيف يهدر دم قتيلهم؟!".

وهو تابع في ذلك للأستاذ حسن البنا ـ رحمه الله ـ، فهو الذي أذاعه بين شباب الإخوان وغيرهم، وهذا هو سيد قطب ـ عفا الله عنه ـ يقول مثله، ولكن بجرأة بالغة على تصحيح الباطل: "وهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا بنص الإسلام الصحيح"!! كذا في كتابه "السلام العالمي" (ص ١٣٥ـ طبع مكتبة وهبة الثانية).

وقد جرى على هذه الوتيرة من المخالفة للنصوص الصحيحة، اعتماداً على الأحاديث الضعيفة غير هؤلاء كثير من الكتاب المعاصرين، لجهلهم بالسنة، وتقليدهم لبعض الآراء المذهبية، ومن هؤلاء الأستاذ المودودي ـ رحمه الله ـ، وقد تقدم الرد عليه في تسويته بين المسلم والذمي في الحقوق العامة تحت الحديث المتقدم رقم (٤٦٠)[1].

وإن مما يحسن لفت النظر إليه أن الأحناف الذين تفردوا بهذا الحديث الباطل، لم يأخذوا به إلا في المبايعات كما تقدم ذكره عن كتابهم "الهداية"، خلافاً لهؤلاء الكتّاب الذي توسعوا في تطبيقه توسعاً خالفوا به جميع العلماء. فاعتبروا يا أولي الألباب!"[2] اهـ. كلام الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ.

وقال الدكتور عبد الله الطريقي: "وأما قول بعض الفقهاء "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" فليس فيه دلالة على المساواة في الحقوق

---

(١) ومنهم القرضاوي ـــ هداه الله ـــ في كتابه "فتاوى معاصرة ٢/٦٧٠".

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٥/١٩٥-١٩٧.

والواجبات؛ بدليل الواقع، فإن حقوق المسلم كثيرة؛ منها: السلام، والنصح، وإجابة الدعوة، والعيادة في المرض، وتشييع الجنازة، وأهم من ذلك موالاته ومؤاخاته، وإعطاؤه من الزكاة، وغير ذلك"[١].

الشبهة الثامنة:

قوله: "وقد استحضر الإمام علي بن أبي طالب تلك المعاني في كتابه إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، عندما قال: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم.. فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"[٢].

تعقيب:

هذا الأثر مما التقطه هويدي من كتاب (نهج البلاغة) المكذوب على علي - ﷺ -[٣].

فهو مما لا يُفرح به.

قال الذهبي في ترجمة المُرتضَى أبي علي بن حسين ابن موسى الموسوي (المتوفى سنة ٤٣٦هـ): "هو جامع كتاب "نهج البلاغة" المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي - ﷺ -، ولا أسانيد لذلك، وبعضُها باطلٌ وفيه حقٌ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن؛ أين المنصف؟ وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرّضي"[٤].

وقال أيضًا: "وفي تواليفه سبُّ أصحاب رسول الله - ﷺ -، فنعوذ

---

(١) فقه الاحتساب على غير المسلمين، ص ٢٣.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٨٣.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، ٢٤/٥، تحقيق حسن تميم.

(٤) وهذا هو المشهور.

بالله من علم لا ينفع"[١].

وقال أيضاً في ترجمته: "وهو المتهم بوضع كتاب "نهج البلاغة"، وله مشاركة قويّة في العلوم، ومن طالع كتابه "نهج البلاغة"؛ جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ، ففيه السّبُّ الصّراح والحطُّ على السيدين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين؛ جزم بأن الكتاب أكثره باطل"[٢].

وقد حكم بكذب كثير مما في هذا الكتاب على عليّ ـ ﷺ ـ العلامة المقبلي؛ فقال رحمه الله: "أخرج البخاري عن علي ـ ﷺ ـ؛ أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي ـ ﷺ ـ كذبًا، وصدق ابن سيرين ـ رحمه الله ـ؛ فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم؛ يشهد بكذب كثير مما في "نهج البلاغة" الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن؛ لم يبلغوا بها مصنفها، حتى لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره؛ فلم يبلغوا بها الرضّي الرافضي، ولو بلغوه لم ينفعهم فإن مذهب الإمامية تكفير

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٧/٥٨٩، ٥٩٠.

(٢) ميزان الاعتدال، ٣/١٢٤. وانظر: لسان الميزان، ٤/٢٢٣.

من لم يكن على مذهبهم كفرًا صريحًا لا تأويلاً"[١].

وقد أشار إلى الكذب الذي فيه الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٢/ ١٦١).

وقد قال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة تعليقه عليه: "إنه يعتقد أن محمد عبده[٢] كان مقتنعاً بأن الكتاب كله للإمام علي ـ ﷺ ـ وإن لم يصرح بذلك، وحتى إنه ليجعل ما فيه حجة على معاجم اللغة"!

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة في بيان كذب كثير مما في هذا الكتاب على عليّ ـ ﷺ ـ، وهذا نص كلامه: "... وأيضًا؛ فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة" كذبٌ على عليّ، وعليّ ـ ﷺ ـ أجلّ وأعلى قدرًا من أن يتكلّم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح؛ فلا هي صدق ولا هي مدح، ومن قال: إن كلام عليّ وغيره من البشر فوق كلام المخلوق؛ فقد أخطأ، وكلام النبي ـ ﷺ ـ كلامه، وكلاهما مخلوق.

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذي يقول: هذا كلام بشير[٣] يشبه بوجهٍ ما كلام البشر، وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما في نفوس البشر وليس هذا من كلام المسلمين.

وأيضًا؛ فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام عليّ موجودة في كلام غيره، لكن صاحب "نهج البلاغة" وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام عليّ، ومنه ما يُحكى عن عليّ على أنه تكلّم

---

(١) العلم الشامخ، ص ٢٣٧.

(٢) وهو شيخ مشايخ هويدي! فلا يُستغرب احتجاج هويدي بهذا الأثر الذي ارتضاه عبده.

(٣) كذا في الأصل !.

به، ومنه ما هو كلام حقّ يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا؛ يوجد في كلام "البيان والتبيين" للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول من غير عليّ، وصاحب "نهج البلاغة" يجعله عن عليّ.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب "نهج البلاغة" لو كانت كلّها عن عليّ من كلامه؛ لكانت موجودة قبل هذا المصنّف، منقولة عن عليّ بالأسانيد وغيرها، فإذا عَرَف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرًا منها بل أكثرها لا يُعرف قبل هذا؛ عُلم أن هذا كذب، وإلا؛ فليبيّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن عليّ، وما إسناده؟ وإلا؛ فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد.

ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد، وتبيّن صدقها من كذبها؛ عَلِم أن هؤلاء الذي ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتمييز بين صدقها وكذبها"[1] [2].

قلت: بهذه الشبهة انتهت الشبهات التي احتج بها هويدي في كتبه ومقالاته انتصارًا لرأيه الشاذ في (مساواة) المسلمين بالكافرين، وما تفرع عنها من مسائل قبيحة لا يتلفظ بها من يخاف الله ـ ﷻ ـ.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٧/٥٥-٥٦. وانظر في التحذير من هذا الكتاب وبيان أنه مكذوب على علي رضي الله عنه: فجر الإسلام، ١٤٨-١٤٩. وترجمة علي، لأحمد صفوت، ص ١٢٢. والبيان لأخطاء بعض الكتاب، ص ٦٩-٨٥، للشيخ صالح الفوزان، وتعليق محب الدين الخطيب على " العواصم ".

(٢) كتب حذر منها العلماء، ٢/٢٥٠-٢٥٦، بتصرف يسير.

تقسيم الناس حسب موقفهم من الإسلام:

الناس إما مسلمون أو غير مسلمين، وغير المسلمين قسمان:

١- أهل حرب.

٢- أهل عهد.

كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "كان المشركون على منزلتين من النبي ـ ﷺ ـ والمؤمنين. كانوا: مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه"[(١)].

وأهل العهد ينقسمون ثلاثة أقسام:

١- أهل ذمة (ذميون).

٢- مستأمنون.

٣- معاهَدون، من الموادعين والمحايدين: وهم من كان لهم عهد مؤقت بكف القتال عنهم.

هذا هو تقسيم الناس بالنسبة لموقفهم من الإسلام. ويهمنا الفرق بين الذمي والمعاهد والحربي

عرفنا فيما سبق أن الذمي هو: "كل كافر حر بالغ قادر يجوز إقراره على دينه بالجزية".

أما المعاهد: فيراد به من كان له عهد مؤقت بكف القتال عنه وهو "من عقد مع المسلمين أو عقد معه المسلمون، من الكفار من أهل الحرب عهدًا بالكف عن القتال مدة معينة".

وعليه فإنه يمكن أن يُطلق على الذمي "معاهَداً" لأن أهل الذمة هم

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٥٨٦. فتح الباري، ٤١٧/٩.

أهل عهدٍ دائم مقابل أداء الجزية.

أما المعاهَد عهدًا مؤقتًا ـ وهم أهل الهدنة ـ فلا يُطلق عليه لفظ الذمي، وعليه فلفظ الذمي أخص من لفظ المعاهَد مطلقًا، فكل ذمي معاهَد وليس كل معاهَد ذميا، لجواز أن يكون عهدُه عهدًا مؤقتًا.

وعليه فأهم الفروق بين الذمي والمعاهد هي:

أولاً: أن الذمي يقيم إقامة دائمة في بلاد المسلمين أو في بلادٍ يشرفون عليها. أما المعاهَد فإنه إن أقام في بلادهم فهو لحاجة ثم يغادرها.

ثانياً: الذمي يتمتع بحماية المسلمين له بمقتضى عقد الذمة ويلزمه أداء الجزية، أما المعاهَد: فليس عليهم حمايته ولا يُلزم بدفع جزية.

ثالثاً: مدة عقد الذمة مطلقة مؤبدة، ولا تُحَد بوقتٍ كما نص على ذلك الفقهاء، فسموها بـ"العقد المؤبد" أما مدة عقد الهدنة فالواجب فيها التحديد.

رابعاً: الذمي يلتزم بدفع الجزية وبسريان أحكام المسلمين عليه. أما المعاهَد فليس عليه شيء من ذلك.

خامساً عقد الذمة: يجب أن يكون صاحبه كتابيًا أو مجوسيًا في الراجح من أقوال العلماء. أما عقد الهدنة فيُعْقد مع كل كافر.

تلك هي الفوارق بين الذمي والمعاهَد.

ويتفقان فيما يأتي:

أولاً: كلٌ من الذمي والمعاهَد يجب له الوفاء بعهده إذا التزم بأحكام وشروط هذا العهد.

ثانياً: وجوب نبذ العهد إلى كلٍ من الذمي والمعاهَد في حال ظهور

بوادرَ للخيانة.

أما الفروق بين الذمي والحربي فهو كما يلي:

أولاً: الذمي محقون الدم بموجب عهد الذمة. أما الحربي فدمه هَـدَر، حيث لا عهد له.

ثانيًا: في الراجح من أقوال العلماء أن الذمي لا يكون إلا من أهـل الكتاب أو المجوس. أما الحربي: فيُطلق علـى مـن تهيـأ لمحاربـة المـسلمين وناصبهم العداء: كتابيًا كان أو وثنيًا.

ثالثًا: لا يتعرض المسلمون لذراري الذمي لدخولهم في عقـد الذمـة ضمنًا. أما ذراري الحربي إذا ظفر بهم المسلمون فهـم سـبي ولا يُقَـاتلون قصدًا.

رابعًا: مال الذمي له حُرمته فلا يُتَعـرض لـه، ويحـافظ عليـه كمـال المسلم. أما مال الحربي: فلا حرمة له وهو غنيمة للمسلمين.

أحكام الجزية:

أما الجزية التي حـاول هويـدي أن يـشكك فيـه ويتمحـل في سـبيل إسقاطها عن "إخوانه اليهود والنصارى!" بشتى الـتمحلات، فهـي ثابتـة بالقرآن والسنة والإجماع.

أما ثبوتها في القرآن: فبالنص عليها في قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

وأما السنة: فقد ورد ذكرها في أحاديث كثيرة لا تُحصى وفي مقدمتها حديث بريدة المشهور الذي نص فيه الرسول ـ ﷺ ـ على هذا الحكم وشرعه للأمة من بعده، دون تقييد بزمان أو مكان.

قال بريدة ـ ﷺ ـ: "كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليه حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم" الحديث رواه مسلم وغيره[1] واللفظ له.

ففي هذا الحديث الصريح بيان أن سنة الرسول ـ ﷺ ـ في حروبه وغزواته، وفي وصاياه لقواده أن يخير الكفار بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وأن هذا دأبه دائمًا، يشهد لهذه قول بريدة: "كان رسول ـ ﷺ ـ إذا أمّر أميرًا.." فهو دليل على الاستمرار والعادة الدائمة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢،ص ٣٧. الأموال لأبي عبيد، ص ٣٥.

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية بالجملة، قال ابن قدامة رحمه الله: "والأصل فيها ـ يعني الجزية ـ الكتاب والسنة والإجماع"[١]. وقال ابن رشد: "فأما من يجوز أخذ الجزية منهم فإن العلماء مجمعون على أنه يجوز أخذها من أهل الكتاب العجم والمجوس"[٢]. وقال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس"[٣].

تنبيه: من أراد الزيادة والفائدة في موضوع أحكام المعاهدين، والموقف الشرعي منهم؛ فعليه بالرسالة القيمة "فقه الإحتساب على غير المسلمين" للدكتور عبد الله الطريقي ـ وفقه الله ـ.

فهمي هويدي والرافضة:

مقالاته وأقواله ـ حسب علمي ـ تشهد بأنه متأثر بدعوة (الرافضة) عادًا إياهم أحد التيارات المؤثرة في الصحوة الإسلامية[٤] وعادًا ثورتهم الأخيرة ثورةً إسلامية شجاعة، ومادحًا لرموزهم وأشخاصهم، وملمعًا لمذهبهم وبلادهم ـ والعياذ بالله ـ.

وإليك ـ شيئاً من مواقفه وأقواله ـ تشهد عليه بهذا كله:

فهو قد خصص كتاباً كاملاً سماه (إيران من الداخل) خصصه للحديث عن أحوال الثورة الخمينية، محاولاً تقريب السنة إليهم، كما في (ص٣١٣،٣٠٦،٢٠٥،١١،٩ وما بعدها).

---

(١) بداية المجتهد لابن رشد، جـ١، ص٤٠٥.

(٢) بداية المجتهد لابن رشد، جـ١، ص٤٠٥.

(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم، جـ١، ص١.

(٤) بخلاف السلفيين الذين يراهم معوّقين للصحوة!

واصفاً الخميني بأنه "كان زاهـدًا عظيمًـا"[١] !! ومادحـاً (منتظـري) بأنه "واحد من التابعين الذين كان همهم الزهد والورع"[٢]!!

وتدليلاً على محبة هويـدي وموالاتـه للـروافض فقـد تكلـف عنـاء السفر لتهنئة الخميني بقيام دولته (الرافضية)![٣].

ويقول عن فقه الواقع: "الثورة الإسـلامية في إيـران أرسـت قاعـدة عريضة لهذا الفقه"[٤].

وفي تعليق له على تقرير عن (الحالة الإسـلامية في الـوطن العربـي) الذي أصدره مركـز الدراسـات الاسـتراتيجية بـالأهرام، يقـول: "لـسنا نعرف كيف غاب عن الباحثين رصد مظاهر الحالة الإسلامية في الخليج ومؤشـرها في صـعود مـستمر علـى الأصـعدة الـسياسية والاجتماعيـة، خصوصًا بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وما ترتب على ذلك مـن أصداء بين شيعة الخليج"[٥].

ويرى هويدي أن نجاح ثورة الرافـضة في إيـران أحـد مظـاهر نجـاح الصحوة الإسلامية[٦]!

ويقول عن الرافضي بـاقر الـصدر[٧]: "العلامـة الـسيد محمـد بـاقر الصدر"[٨]!

---

(١) إيران من الداخل (ص ١٨٢).

(٢) المرجع السابق (ص ١١٦).

(٣) إيران من الداخل (ص ٩).

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٠/١/٢م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٨/١٠/١١م.

(٦) جريدة الأهرام، تاريخ ١٩٨٨/١٠/١١م، مقال بعنوان "الإسلاميون في أحدث تقرير".

(٧) رافضي جَلد، تميز بكتبه الاقتصادية.

(٨) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٠/٩/١٨م.

ويقول مدافعًا عن الروافض، ومبرزًا حسناتهم: "إن الشيعة الذي كان البعض يشكك في ولائهم، وأبدى نفر من الكاتبين تخوفاً منهم بعد الغزو خيبوا ظن هؤلاء الجميع، وأثبتوا أنهم جزء لا ينفصم من الصف الوطني، وكان صمودهم المشهود، وشبابهم الذين سيقوا إلى الإعدام، منهم ثلاثة من أسرة (دشتي) وحدها، كان ذلك إبراءً لذمتهم، وإعلاناً عن مصداقية انتمائهم، الذي ثار حوله بعض اللغط منذ قامت الثورة الإسلامية في إيران"[(١)].

ويخص الزيدية والإمامية الروافض بمزيد دفاع حارٍ، ويستثنيهم من بقية الشيعة المذمومين بكل لسان، فيقول: "فات بعض الكاتبين أن الشيعة فرق متعددة، بينهم المعتدلون والغلاة وصحيحو العقيدة وفاسدوها، وفي مقدمة المعتدلين وصحيحي العقيدة: الزيدية المنسوبة إلى الإمام زيد بن علي، ويتركزون في اليمن، وهم الأقرب إلى السنة، والإمامية الاثني عشرية!! وهم أكبر فرق الشيعة وأشهرها"[(٢)].

وفي مقال له بعنوان (معركتنا ليست ضد الشيعة) يحاول هويدي أن يوهمنا بأن تصرفات النظام الإيراني لا يتحمل وزر أخطائها مذهب الروافض، فيقول: "لا أعرف كيف يمكن أن نكبح جماح عواطفنا وانفعالاتنا، بحيث نفرق بين ممارسات النظام السياسي الإيراني وبين تعاليم المذهب الشيعي"[(٣)].

وهاهو ينتقد أحد الدعاة الذين بينوا خطر الرافضة، وحذروا

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٦/١٠/١٩٩٠م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٥/٩/١٩٨٧م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٥/٩/١٩٨٧م.

منهم[١].

وعندما أنكر هويدي ظهور (المهدي المنتظر) آخر الزمان عَقّب على ذلك بقوله: "إن ما عرضته بشأن وجهة نظر السنة في مسألة المهدي المنتظر ينبغي ألا يُحمل باعتباره إساءة أو تشهيرًا بما يعتقده الشيعة في هذا الصدد، فرأينا فيما يعرض علينا من معتقدات، لا ينبغي أن يخل باحترامنا لما يعتقده الآخرون، خاصةً وأن لديهم من الأسانيد والحجج ما يدعم اعتقادهم ويعززه"[٢].

قال هذا الثلا يُغضب أعداء الصحابة، وأما أهل السنة من أتباع السلف الصالح فهم ـ في نظر هويدي ـ لا يستحقون الاعتذار، علمًا بأن "لديهم من الأسانيد والحجج ما يدعم اعتقادهم ويعززه" كما قال هويدي!

ويتابع هويدي الروافض في ذمهم للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ قائلاً: "لعلنا نذكر ما جرى في موقعة صفين بين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام الطامع في الإمارة"[٣].

ويكتب مقالاً بعنوان "معركتنا ليست ضد الشيعة"[٤] يستغرب فيه أن تنشر الكتب ضد الشيعة في بلاد مصر "ذات الدور الرائد في التقريب بين المذاهب، والتي لم تصب بأي حساسية تجاه الشيعة، ولقد درج

---

(١) في مقالة على صفحات مجلة العربي، العدد ٢٩٢، ص ٤٥.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/١/٢١م.

(٣) مجلة العربي، العدد ٢٣٤، ص ٣٥.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ ١٩٨٧/٩/١٥م.

المؤرخون على وصف المصريين بأن لهم هوىً مع آل البيت"، كما يقول هويدي، ثم راح يدافع عن عقائدهم، ويُنكر أنهم يقولون بتحريف أو نقص القرآن الكريم أو أنهم يسبون الصحابة!!

فهمي هويدي والديمقراطية:

يعد هويدي من أبرز الدعاة إلى الديمقراطية في عالمنا الإسلامي، حيث أبرز محاسنها وجَمَّلها في عدد كثير من مقالاته، متابعةً منه لشيخيه الغزالي، والقرضاوي، اللذين يعوِّل على كلامهما في الديمقراطية كثير من دعاة الاستنارة والعقلانية.

وإليك شيئًا من أقواله في هذا الموضوع:

يقول هويدي في مقال بعنوان (الإسلام والديمقراطية.. أو الطوفان!) مبالغاً في مدح الديمقراطية: "إننا نعتبر أن الديمقراطية هي أفضل صيغة ابتكرها العقل الإنساني حتى الآن لإدارة المجتمع على نحو كفء وصحي"[(١)].

ويقول: "سنصبح في مجرى التاريخ، ويصبح انتسابنا للعصر حقًا، فقط عندما نتعامل مع الديمقراطية بشروطها وجوهر وظيفتها، أعني عندما يسقط احتكار السلطة، وتصبح الأمة شريكة في صناعة القرار، وصياغة حاضرها ومستقبلها"[(٢)].

ويقول معبرًا عن ماهية الديمقراطية التي يدعو إليها: "جوهر الديمقراطية هو مشاركة الأمة صناعة القرار السياسي من خلال وضع

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٤/٣/١٩٩٢م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

مؤسسي دائم وملتزم"[١].

ويقول: "لسنا نعرف لماذا يصر البعض على سوءات الديمقراطية وعوراتها، مع تغييب تام لإيجابياتها وإنجازاتها، وجملة المقاصد الجليلة التي تحققها"[٢].

ونراه ينقل فتيا القرضاوي في تأييد (الديمقراطية) في مقالة له بعنوان "فتوى في الديمقراطية"[٣].

فهمي هويدي والسلفية:

يُكثر هويدي ـ شأن جميع العصرانيين ـ من الطعن في المتمسكين بعقيدة السلف الصالح ومنهجهم، ويلمزهم بشتى التهم، ساخرًا منهم لاتباعهم سنة النبي ـ ﷺ ـ إلى أن يصل به الشيطان إلى الطعن والسخرية بالسنة ذاتها! ـ والعياذ بالله ـ.

وأنا سأنقل بعضًا من أقواله التي يوردها في هذا المقام متابعةً منه لأسلوب شيخه الهالك (الغزالي) ليتعرف القارئ على شيء مما تكنه صدور هؤلاء التنويريين على سنة المصطفى ـ ﷺ ـ والمتمسكين بها، مع تعرفه على رأيهم في انتشار عقيدة ومنهج السلف في العالم الإسلامي خلال السنوات الأخيرة ـ ولله الحمد ـ.

يقول هويدي: "تيارات تكفير المجتمع وجماعات الغلو والتشنج والهلوسة باسم الدين، هؤلاء جميعًا لم يظهروا إلى الوجود إلا في المرحلة التي صودرت فيها حرية العمل الإسلامي الشرعي"[٤].

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٨/٨/١٩٩٢م.

(٤) مجلة العربية، العدد ٢٦٥، ص ٢٥-٢٦.

وينقل طعن الغزالي في السلفية مؤيدًا له[١].

ويسخر من كتاب الشيخ أبي إسحاق الحويني[٢] "نهي الصحبة عن النزول بالركبة"[٣] مدعيًا أنه لا فائدة من بحث هذه المواضيع الفقهية التي يسميها هويدي ومن هم على شاكلته (الجزئيات)، وأن الأولى أن تُصرف الجهود إلى الاهتمام بقضايا الأمة الكبرى، ومواجهة أعدائها الذين يكيدون لها.

ولكن: مما يثير الطرافة أننا علمنا ـ سابقاً ـ أن هويدي يرى أن اليهود والنصارى كالمسلمين، ويرى جواز قيام أحزاب علمانية وماركسية، فلا أدري بعد هذا من هم أعداء الأمة الذين يريد لنا هويدي أن نتصدى لهم، وهو لم يُبق عدوًا لنا!!؟

ويقول هويدي في ندوة عقدت بالأردن ساخرًا من مجموعة من الشعائر والسنن الإسلامية: "الأمر تجاوز المسواك والأكل بأصابع اليد والجلباب القصير، إلى حديث أصح وأجدى حول الارتقاء بالإنسان، والنهوض بالأمة، وصياغة المستقبل على نحو أفضل"[٤].

ثم ينقل عن القرضاوي ذم من يُقَصر ثوبه اتباعًا لسنة محمد ـ ﷺ ـ.

فهويدي مشغول عن هذه السنن بـ"الارتقاء بالإنسان والنهوض بالأمة، وصياغة المستقبل على نحوٍ أفضل)!! إلى آخر عباراته التي لا ثمرة لها.

---

(١) مجلة العربية، العدد ٢٩٠، ص ٨٢-٨٦.

(٢) أحد علماء الحديث البارزين في مصر ـــ حفظه الله ـــ.

(٣) مجلة المجلة، العدد ٥٠٣، ص ٢٣.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٩/٧/١١م.

ويقول: "لا نعرف لماذا ـ عند ذكر الصحوة ـ يُهال التراب على روادها من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبي، ورشيد رضا، وحسن البنا، فيُطمس فكرهم، ويُلغى وجودهم، بينما لا يُذكر سوى عمر عبدالرحمن، وعبود الزمر، وشكري مصطفى، وعلي بلحاج. أعني لماذا يُسقط الاصلاحيون والتحديثيون من الحسبان، وتُسلط الأضواء فقط على الانقلابيين والسلفيين"[(١)].

ويذم أصحاب (الكآبة والجهامة والجفاف)!! الذين يحرمون الغناء والموسيقى والتمثيل والنرد والشطرنج.

ويرى ـ بجهل أو بخبث ـ أن مصدر هذا الفقه الكئيب يعود إلى السعودية!! [(٢)].

ويقول: "إن الخطاب الإسلامي أصبح يعنى بأمور لا حصر لها، ليس بينها بالضرورة قضايا الساعة وشواغل الناس، حتى يبدو أحياناً كما لو كان قادمًا من زمنٍ آخر وربما من كوكبٍ آخر، وما الجدل الدائر بين شبابنا حول الاختلاط والنقاب وإقامة الخلافة وصحة أحاديث المهدي سوى نموذج لما ندعيه"[(٣)].

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٢/٢/١٨م. ومن ذكرهم هويدي ليسوا جميعاً من السلفيين، بل تجاوزوا السلفية إلى فكرٍ متأثر بالخوارج في استباحة الدماء والخروج ـ دون ضوابط ـ على الحكام... إلخ. هدانا الله وإياهم للرجوع إلى الحق.

(٢) كما في مقاله: "هذه الدعوة إلى الكآبة والجفاف"، جريدة الأهرام بتاريخ: ١٩٨٨/٣/١٩م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/٦/١٧م.